

فقه الأسماء الحسنی

السُّبُوح، القدوس

لفضيلة الشيخ

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

حفظه الله تعالى

برنامج من إذاعة القرآن الكريم

٢٠٠٩-١٤٢٨هـ

تفریغ: محمد عماد نوفل

النسخة الإلكترونية الأولى

www.ajurry.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد.. السَّلامُ عليكم ورحمةُ الله وبركاته... معاشرَ المستمعين.. ومن أسماء الله الحسنى: الْقُدُّوسُ، السُّبُّوحُ.

أما اسمه - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - (القدوس) فقد ورد في القرآن مرتين؛ قال الله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ﴾ [الحشر: ٢٣]، وقال الله تعالى: ﴿يَسْبُحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [الجمعة: ١].

وأما (السُّبُّوح) فقد ورد في السنة؛ وذلك فيما رواه مسلمٌ في صحيحه، عن أم المؤمنين عائشة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -، أن رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كان يقول في ركوعه وسجود: ((سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ)).

وقد جمع - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - في هذا الحديث بين التسبيح والتقدیس، كما جُمع بينهما في قوله - تَعَالَى - في ذكر تسبيح الملائكة وتقديسهم لله: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: ٣٠].

أيها الإخوة المستمعون، والسبوح القدوس اسمان عظيمان دالان على تزيه الله عن النقائص والعيوب، وعلى تبرئته - جَلَّ وَعَلَا - عن كل ما يضاد كماله وينافي عظمتة، كالسَّنة،

والنوم، واللُّغوب، والوالد، والولد... وغيرها، وعن أن يشبهه أحد من خلقه، أو أن يشبه هو أحداً من خلقه، تعالى وتقدس وتزّه عن الشبيه والنظير والمثال، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وبمجموع ما يتره عنه - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - شيئان: أحدهما: أنه - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - مُنَزَّهٌ عن كل ما ينافي صفات كماله؛ فإن له المنتهى في كل صفة كمال؛ فهو الموصوف بكمال العلم وكمال القدرة، متزّه عما ينافي ذلك من النسيان والغفلة، وأن يعزب عنه مثقال ذرة في السموات والأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر.

ومتزّه عن العجز والتعب والإعياء واللغوب، وموصوف بكمال الحياة والقيومية، متزّه عن ضدها من الموت والسَّنة والنوم.

موصوف بالعدل والغنى التام، متزّه عن الظلم والحاجة إلى أحد بوجه من الوجوه.

وموصوف بكمال الحكمة والرحمة، متزّه عما يضاد ذلك من العيب والسَّفة، وأن يفعل أو يشرع ما ينافي الحكمة والرحمة.

وهكذا جميع صفاته متزّه فيها عن كل ما ينافيها ويضادها. الثاني: أنه جَلَّ وَعَلَا متزّه عن مماثلة أحد من خلقه، أو أن يكون له نَدُّ بوجه من الوجوه؛ فالمخلوقات كلها وإن عظمت وشرفت وبلغت المنتهى الذي يليق بها من العظمة والكمال اللائق بها فليس شيء منها يقارب أو يشابه الباري؛ بل جميع

أوصافها تضحلّ إذا نسبت إلى صفات باريها وخالقها؛ بل جميع ما فيها من المعاني والنعوت والكمال هو الذي أعطاها إياه؛ فهو الذي خلق فيها العقول والسمع والأبصار والقوى الظاهرة والباطنة، وهو الذي علّمها وأهمّها، وهو الذي نماها ظاهراً وباطناً وكمّلها؛ فهو المتزّه عن كل ما ينافي صفات المجد والعظمة والكمال، وهو المتزّه عن الضد والند والكفؤ والمثال. وينبغي أن يعلم ها هنا -أيها الإخوة المستمعون- أن تسبيح الله وتقديسه إنما يكون بتبرئة الله وتزيهه عن كل سوء وعيب، مع إثبات الحماد وصفات الكمال له سبحانه على الوجه اللائق به.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: "والأمر بتسبيحه يقتضي تزيهه عن كل عيب وسوء، وإثبات الحماد التي يحمدها؛ فيقتضي ذلك تزيهه وتحميده وتكبيره وتوحيده". انتهى.

وبه يُعلم أن ما يفعله المعطلة من أهل البدع من تعطيل للصفات، وعدم إثبات لها، وجدّد لحقائقها ومعانيها؛ بحجة أنه يسبحون الله ويترهونه - فهو - في الحقيقة - ليس من التسبيح والتقديس في شيء؛ بل هو إنكار وجود، وضلال وهتان.

قال ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ في معنى قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ [الحجر: ٩٨، النصر: ٣]: "أي: سَبِّحْهُ بما حمّد به نفسه؛ إذ ليس كل تسبيح بمحمود؛ كما أن تسبيح المعتزلة يقتضي تعطيل كثير من الصفات". انتهى كلامه رَحِمَهُ اللهُ.

وقوله: "إذ ليس كل تسبيح بمحمود" كلامٌ في غاية الأهمية؛ إذ إن تسبيح الله بإنكار صفاته وجحدها وعدم إثباتها أمرٌ لا يحمّد عليه فاعله؛ بل يذم غاية الذم، ولا يكون بذلك من المسبّحين بحمد الله؛ بل يكون من المعطلين المنكرين الجاحدين، من الذين نزّه الله نفسه عن قولهم وتعطيلهم بقوله: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (١٨٠) وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ (١٨١) وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٨٢)﴾ [الصفات: ١٨٠-١٨٢]، فسبح الله نفسه عما وصفه به المخالفون للرسل، وسلم على المرسلين؛ لسلامة ما قالوه في حق الله من النقص والعيب.

أيها المستمعون، إن تسبيح الله وتقديسه وتزيهه وتعظيمه يجب أن يكون وفق دلائل الكتاب والسنة، وفي ضوء فهم سلف الأمة، ولا يجوز بحال أن يبنى على الأهواء المجردة، أو الظنون الفاسدة، أو الأقيسة العقلية الكاسدة، كما هو الشأن عند أرباب البدع المعطلين لصفات الرب سبحانه؛ زعمًا منهم أن هذا من باب التسبيح والتقديس.

ومن كان يعتمد في باب التسبيح والتعظيم على هواه بغير هدى من الله؛ فإنّه يزل في هذا الباب، ويقع في أنواع من الباطل وصنوف من الضلال.

ومن عافاه الله من هذا السبيل في تسبيحه؛ فقد هُدي إلى صراط مستقيم؛ إذ التسبيح طاعة عظيمة، وعبادة حليلة حبيبة إلى الرحمن، ثقيلة في الميزان؛ كما قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ،

حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ﴾ [متفق عليه].

وهو صلاة جميع المخلوقات؛ كما قال الله تعالى: ﴿تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٤].

وبه تُرزق؛ كما صح في الحديث عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: ((أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِشَيْءٍ أَمَرَ بِهِ نُوحُ ابْنُهُ؟ إِنَّ نُوحًا قَالَ لابنه: يَا بُنَيَّ، أَمْرُكَ أَنْ تَقُولَ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ؛ فَإِنَّهَا صَلَاةُ الْخَلْقِ، وَتَسْبِيحُ الْخَلْقِ، وَبِهَا يُرْزَقُ الْخَلْقُ))، قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: ٤٤].

جعلنا الله من المسبّحين بحمده، المؤمنين بأسمائه وصفاته، المحققين لتوحيده وتعظيمه، إنه - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - سميع مجيب. وإلى لقاء آخر، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

